د ٠ عمر التومي الشيباني

دور النشر العربية وميول الشباب

مقدمـــــة :

لقد اصبحت الكتب والمواد المطبوعة الاخرى في هذا العصر من اهم وسائل الاتصال الفكري ووسائل الاعلام والتثقيف العام ووسائل التعليم والتدريب والتربية المستمرة والتوعية الثقافية والاجتماعية والصحية والسياسية التي تلجأ اليها وتستخدمها وتدرك اهميتهـــا الدول والمجتمعات الحديثة على اختلاف ثقافاتها ونزعاتها ومستويات نموها . واقطارنا ومجتمعاتنا العربية لا تخرج عن هذا الاجمـــاع الانساني العام .

وفي اعتقادنا أن اهمية الكتاب والوسائل المطبوعة الاخـرى تزداد في العالم يوما بعـــد يوم ، وذلك كلما تقـدمت الشعوب ثقافيـــا واجتماعيا واقتصاديا ، وملكت حريتها واستقلالها السياســيين ، وانتشر التعليم بين صفوف ابنائها واصبحت الكلمة المكتوبة وسيلة سائدة للاتصال الفكري فيها ، واصبح ابناؤها لهم مـن الوعي مـــا يجعلهم يقدرون الثقافة والتعليم ويضفون على العلم والثقافة العامة القيمة الجديرة بهما . ولم يقلل من اهمية الكتاب والمطبوعات الاخرى كوسائل للاتصال والاعلام والتثقيف العام والتوعية والتنوير والتعليم والتدريب والتربية المستمرة ـ ما اتت به التقنية الحديثة من وسائل مرئية ومسموعة اخرى من صور وملصقات وشرائح ملونة واشرطـــة واذاعة مسموعة واذاعة مرئية . فهذه الوسائل الحديثة بالرغم مـــن انتشارها ورخص ثمنها النسبي ، وبالرغم من ان بعضها يستخدم الالوان المثيرة والصور المعبرة او يستخدم اكثر من حاسة من حواس الانسان كالاذاعة المرئية التي تستخدم كلا من السمع والبصر فانها لم تستطع ان تقلل من اهمية الوسائل المكتوبة والمطبوعة فضلا عن ان تقضي عليها . فالكتب والمجلات والصحف وغيرها من الوسائـــل المكتوبة والمطبوعة لا تزال لها القدرة على منافسة ومزاحمـة وسائـل الاتصال الاخرى ولا يزال لها من الخصائص والمميزات ما يزيد من هذه القدرة ويمكنها من المحافظة على اهميتها . ومن هذه الخصائصـــ والمميزات ، رخص ثمنها وصغر حجمها نسبيـــا ، وخفـــة وزنها ، وسهولة استعمالها ، وصلاحيتها للاستعمال في كل زمان ومكان وفـي جميع الظروف والازمان ، وعدم مضايقة استعمالها لغير المستعمل لها وصلاحيتها كمصدر لكثير مما يسعى القاريء للحصول عليه من معارف ومعلومات وافكار وحقائق وتجارب وخبرات في شتى ظروف الحياة .

ضرورة الاهتمام بصناعة الكتاب والمواد المكتوبة الاخرى :

واذ كان للكتاب المواد الاخـــرى ما ذكـــرنا مـن اهميـــة في الاعلام وتثقيف وتوعية وتعليم وتدريب المواطنين القادرين على قراءة واستعمال وفهم محتويات هذه الوسائل والمواد ، فانه من الضـروري الاهتمام بهذا النوع من الوسائل ، والعمل المستمر على تحســـينه وتوجيهه الوجهة المرغوبة التي تزيد من فائدته وتاثيره الطيب ومـــن الاقبال عليه من القادرين على الانتفاع به .

ومن اهم جوانب الاهتمام بهذا النوع من الوسائل التعليميـــة والتثقيفية تدعيم صناعة الكتاب وحركة النشر والطباعة ، والتشجيع المادي والمعنوي لدور النشر والطباعة والتوزيع ، والتخطيط السليم لعملها ونشاطها ، والتوجيه والتقويم المستمران لهذ االعمل والنشاط بـما يضمن سيرها في طريق الاهداف التعليمية وحاجات وميـــول واهتمامات ورغبات واذواق واتجاهات وقدرات مختلف فئات العمـر من القراء الذين تتجه لهم تلك الدور والمؤسسات بانتاجها المطبوع .

ضرورة التوجه الى كل فئة من فئات العمر بما يناسبها من الكتب والمواد المطبوعة الاخرى :

فدور نشر الكتاب وتوزيعه هي مؤسسات ثقافية واعلامية قبل ان تكون مؤسسات تجارية ، وما يقدم لمساعدتها وتدعيمها من مال وجهد وغيرهما يجب ان يعتبر نوعا من الاستثمار في مجال التنمية البشرية وهي لتكون في المستوى المطلوب لها ولتحقق لها « الوظيفة » فـي اعمالها لابد ان يكون عملها مرتبطا بالوظائف والاهداف التعليميـــة والتثقيفية والاعلامية المرسومة لها ، كما انه لابد ان يكون عملهـــا متمشـــيا مع خصائص وحاجات وميول واهتمامات مختلف فئـــات العمر التي تتوجه اليها بمطبوعاتها ومنشوراتها .

وبالنسبة للشق الثاني بالذات الذي يهمنا في المقام الاول مـن القضية السابقة والذي ينبه الى ضرورة تمشي ما تنتجه دور النشر من مطبوعات مع طبيعة القراء على اختلاف اعمارهم ومســـتويات نضجهم ، فانه لا يفوتنا التنبيه الى حقيقة من الحقائق التي اكدتهـا الدراسات التربوية والنفسية والتي مفادها : انه كلما كانت مواد وموضوعات القراءة متمشية مع العمر الجسمي والعقلي للقاريء ومع خصائصه الجسمية والعقلية والانفعاليـــة والاجتماعية ، ومـــع مستويات نضجه الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي ومـــع مستوى تحصيله العلمي والثقافي ، ومع حاجاته النفسية والاجتماعية والعقلية ومع ميوله واهتماماته ورغباته كلما زاد اقباله على القراءة ، فالشخص يجد نفسه عادة مدفوعا الى قراءة ما يظن انه يساعد علـى اشـــباع حاجاته وارضاء ميوله ورغباته وفقا لمرحلة العمر التي يمـر بهـا ، سواء أكانت هذه المرحلة هي مرحلة المراهقة والشبـــاب او مرحلة الرشد او مرحلة الشيخوخة . فاذا ما اخذنا مرحلة المراهقة والشباب التي تمتد في الفترة ما بين سن الثانية عشرة والخامســـة والعشرين تقريبا وحاولنا ان نبحث عن الحاجات والميول العقليـــة البارزة فيها ، فاننا نجد ان من بينها الحاجة الى تحقيق الاستقلال العاطفي التدريجي عن الوالدين والحاجة الى تحقيق الذات وتحقيق المكانة الاجتماعية والحاجة الى تحقيق القبول لدى الجنس الآخـر ، والحاجة الى التكيف مع التغييرات الجسمية والعاطفية السريعـة التي يمر بها الشخص في هذه المرحلة ، والحاجة الى التقـدير ، والحاجة الى النجاح ، والميل الى قراءة قصص البطولة والشجاعة ، والقصص العاطفية ، وكتب المغامرات والمغازي والفتوحات وتراجم الشخصيات والابطال ، واخبار الحروب والاكتشافات العلمية ، وما يعالج المشكلات العاطفية والدينية ، والفكرية التي يحس الشبـــاب بمثلهـــا . (١)

ومن اول مقتضيات التسليم بهذه الحاجات والميول لـــدى الشباب ان تؤخذ في الاعتبار فيما يقدم اليهم من كتب ومطبوعات وفي عمليات التخطيط والتوجيه والمراقبة والتقويم لاعمال دور النشر .

ضرورة دراسة خصائص وحاجات وميول الشـــباب العـــربي :

والتسليم بضرورة مسايرة ما تقدمه دور النشر مـــن كتب ومطبوعات اخرى لخصائص وحاجات وميول الشباب ، يجرنا الـى التسليم بضرورة اخرى ، وهي : ان تحاول هذه الدور باستمرار ان تكشف بنفسها بالطرق العلمية المقبولـة او ان تتعرف علـى تلك الخصائص والحاجات والميول ، متعاونة مع المؤسسات التربويـــة

والاعلامية الاخرى ومع مؤسسات البحث العلمي في البلاد في الكشف او التعرف على تلك الخصائص والحاجات والميول ومستفيدة من الدراسات المناسبة التي اجريت داخل البلاد وخارجها في هذا الميدان ، وبدون الكشف او التعرف على هذه الامور بالطرق العلمية الممكنة يصبح عمل دور النشر في خدمة الشباب رجما بالغيب وغير قائم على اساس علمي .

ومما يزيد من عملية الاساس الذي تبنى عليه دور النشر تخطيطها لنشاطها في مجال الطباعة والنشر من اجل خدمة الشباب ان تكون الابحاث والدراسات التي اعتمدت على نتائجها في تخطيطها لاعمالها - قد تم اجراؤها في الوطن العربي لانها ان تم اجراؤها خارج الوطن العربي لا تكون لها قيمة تخطيطية كبيرة ، لانها تمت في مجتمعات تختلف عن المجتمع العربي في درجة تقدمها الاقتصادي والاجتماعي ، وفي خلفيتها الثقافية ، وفي خصائصها الثقافية والحضارية ، وفي احتياجاتها ومطالبها وتوقعاتها من افرادها ، وفي قيمها وعاداتها وتقاليدها التي تسعى الى تخليدها والى نقلها الى اجيالها الناشئة والقادمة .

والدراسات النفسية التربوية تؤكد لنا ان الشباب في اي مجتمع يتأثر في خصائصه وحاجاته وميوله بالبيئة التي تربى فيها وبطبيعة وثقافة وقيم المجتمع الذي عاش فيه وعلى هذا الاساس فانه لابد من التسليم بأن شبابنا العربي يختلف في خصائصه وحاجاته وميوله وقيمه عن شباب اي مجتمع غربي ، او شرقي سواء أكان أمريكيا ، أو انجليزيا أو فرنسيا او يابانيا او صينيا .

وتسليمنا بهذا يقتضينا الا نقيس شبابنا العربي على نظرائه في الخارج ونغفل حقيقة اساسية وهي : انه ليس من الضروري ان يميل الشاب الى مثل ما يميل اليه الشاب الامريكي او الانجليزي ، فقد يتفقان وقد يختلفان ، وربما اتفقا في بعض النواحي واختلفا في البعض الاخر ، واي تخطيط لا يراعى هذا الاختلاف يكون تحليله غير صحيح رغم مظهره المنطقي .

قلة ما يوفر من دراسات عربية حول ميول القراءة لدى الشباب :

ولكن بالرغم من تسليم علمائنا العرب بضرورة اجراء الدراسات الخاصة بخصائص وحاجات وميول القراءة لدى شبابنا العربي ، وبالرغم من شعورهم بالحاجة الماسة الى نتائج مثل هذه الدراسات في تمثل الاوساط الاجتماعية المختلفة ، وبالرغم عن تجربة البحث والتخطيط العلمي السليم لرعاية وتربية وتثقيف وتوجيه ذلك الشباب وبالرغم من البساطة والسهولة النسبيتين للقيام بمثل هذه الدراسات فان حظ وطننا العربي من هذه الدراسات لا يزال قليلا ، ولا يزال معظم ما نقرأه عن خصائص وحاجات وميول الشباب في الكتب العربية المتداولة بين ايدينا يعتمد اساسا على دراسات وكتب عربية ليس للعرب من فضل فيها سوى الترجمة والنقل .

ومن الدراسات العربية القليلة التي اجريت على ميول واهتمامات القراءة لدى شباب بعض اقطارنا العربية ، تلك الدراسة التي قام بها في مصر الاستاذ محمد حامد الافندي منذ اكثر من عشرين عاما عن موضوعات القراءة التي يميل اليها الطلاب في المرحلة الثانوية .

وقد اختار الاستاذ الافندي لدراسته هذه عددا من مدارس البنين والبنات الثانوية في انحاء متفرقة من مدينة القاهرة بمصر ، (١٣٣٧) الف وثلثمائة وسبعة وثلاثين طالبا وطالبة . وقد كان عدد البنين (٦٩٧) طالبا ، اما البنات فعددهن (٦٤٠) طالبة ، وقد جاء عدد الطلبة من الفريقين موزعا على السنوات الثلاث من المرحلة الثانوية ، وكانت اعمار الطلاب تتراوح في السنة الاولى بين ١٤ و ١٧ ، وفي السنة الثانية بين ١٥ ، و ١٨ وفي السنة الثالثة بين ١٦ و ١٩ ، اما اعمار الطالبات فكانت تتراوح في السنة الاولى بين ١٤ و ١٨ وفي السنة الثانية بين ١٥ و ١٩ ، وفي السنة الثالثة بين ١٦ و ٢٠ .

ومعنى هذا ان المدى بين سن اصغر طالب وسن اكبر طالب في السنة الدراسية الواحدة هو ثلاث سنوات على حين كان هذا المدى أربع سنوات بالنسبة للطالبات ، وكانت توجد اقلية ضئيلة جدا تزيد في السن او تنقص سنة عن المدى ، سواء في البنين او البنات .

وقد قدم الباحث للطلاب والطالبات الذين شملتهم عينة بحثه عددا من قطع القراءة في موضوعات مختلفة ، اختيرت بطريقة علمية معينة .

وقد حلل الاجابات التي تحصل عليها من الطلبة والطالبات بطرق احصائية مختلفة ومتعددة ، توصل في نهاية تحليله الى بعض النتائج المحددة بخصوص ميول واتجاهات المراهقين والشباب نحو القراءة في مصر .

وقد اسفرت نتائج هذا البحث على ان الطلاب الذكور في السنوات الدراسية الثانوية الثلاث الاولى والثانية والثالثة ، يفضلون قصص البطولة في المرتبة الاولى ، ثم الموضوعات العاطفية فالموضوعات الاجتماعية ، ثم الموضوعات التي تتناول العلوم والمخترعات ، ثم قصص المغامرات ، فالموضوعات الفكاهية ، فالموضوعات السياسية ، ثم الموضوعات التي تبحث في الفلسفة وما وراء الطبيعة .

واما بالنسبة للبنات فان دراسة الاستاذ الافندي قد دلت نتائجها على انهن اتفقن « في الميل الى بعض الموضوعات في السنوات الدراسية الثلاث ، واختلفن في الميل الى بعضها الاخر وذلك على النحو الاتي :

السنة الاولى : فضل البنات في السنة الاولى الموضوعات العاطفية وقصص البطولة في المرتبة الاولى ثم الموضوعات الاجتماعية ، فقصص المغامرات ، ثم الموضوعات الفكاهية ، فالموضوعات التي تتناول العلوم والمخترعات فالموضوعات السياسية ثم الموضوعات التي تبحث في الفلسفة وما وراء الطبيعة .

السنة الثانية : وفضل البنات في السنة الثانية في المرتبة الاولى : الموضوعات العاطفية ، وفي المرتبة الثانية قصص البطولة والموضوعات الاجتماعية ، وفي المرتبة الثالثة الموضوعات الفكاهية ، وفي المرتبة الرابعة موضوعات العلوم والمخترعات وقصص المغامرات ، وفي المرتبة الخامسة الموضوعات السياسية ، واخيرا الموضوعات التي تبحث في الفلسفة وما وراء الطبيعة .

السنة الثالثة : وفضل البنات في السنة الثالثة الموضوعات الاتية بالترتيب :

الموضوعات العاطفية ، فقصص البطولة ، فالموضوعات الاجتماعية ، فقصص المغامرات ، فموضوعات العلوم والمخترعات ، فالموضوعات الفكاهية ، فالموضوعات السياسية ، فموضوعات البحث في الفلسفة وما وراء الطبيعة .

وقد اجرى الاستاذ محمد حامد الافندي اختبارا بطريقة اخرى توصل منه الى ان الطلاب والطالبات في المدارس الثانوية يفضلون قراءة موضوعات اخرى على النحو التالي :

الموضوعات التاريخية : يفضل قراءتها ٩١٫٥٪ من البنين و٧٣٪ من البنات

الموضوعات الثقافية : يفضل قراءتها ٨٣٪ من البنين

الموضوعات الدينية : يفضل قراءتها ٨٠٪ من البنين و ٩٥٪ من البنات

الموضوعات البوليسية : يفضل قراءتها٧٨٪ من البنين ٧٦٪ من البنات

الموضوعات الادبية : يفضل قراءتها ٦٨٪ من البنين و ٧٧٪ من البنات

الموضوعات الدرامية : يفضل قراءتها ٨٧٪ من البنات

الموضوعات الخيالية : يفضل قراءتها ٨١٪ من البنات

موضوعات علم النفس : يفضل قراءتها ٨١٪ من البنات (٤)

الملاحظة التي قد تؤاخذ على هذه الدراسة :

والملاحظة التي قد تؤخذ على الدراسة السابقة هو قدمها حيث مضى على اجرائها ما يزيد على عشرين سنة ، فقد تطورت مصر نفسها في هذه الفترةتطورا كبيرا وتغيرت الحياة فيها وتغيرت معها بكلتأكيد كثير من ميول الشباب المصري واهتماماته القرائية ولا يستطيع احد ان يدعي ان شباب اليوم يحملون نفس الميول القرائية التي كان يحملها أمثالهم من الشباب ، حتى في مدينة القاهرة نفسها التي تمت فيها الدراسة السابقة ، يضاف الى هذا ان الدراسة السابقة لم يجر مثلها في اقطارنا ومجتمعاتنا العربية المختلفة التي كانت منذ ذلك الوقت مختلفة في درجة نموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وفي عاداتها وتقاليدها وفي مطالبها وتوقعاتها من افرادها وفي كثير من قيم حياتها . ومن غير شك ان هذين العيبين في الدراسة السابقة يقللان من قيمة نتائجها بكل تأكيد كركيزة من ركائز التخطيط لتكوين محتويات المكتبات المدرسية والمكتبات العامة ، ولوضع مناهج القراءة والمطالعة والثقافة العامة في المدارس الثانوية ولتحديد الموضوعات الثقافية المفضلة لدى الشباب في الصحافة ، ولتوجيه نشاط دور ومؤسسات الطباعة والنشر في وطننا العربي ككل . ولا اعتقد ان لها قيمة تخطيطية كبيرة في هذه المجالات حتى في مصر نفسها لقدمها اولا ولضيق المحيط الذي غطته من القطر المصري حتى في ذلك الوقت الذي اجريت فيه . فقد علمنا ان الدراسة السابقة لم تشمل الا مدينة القاهرة من مصر ، ولعلها لو اجريت على المدن المصرية الاخرى وعلى المناطق الداخلية والريفية في مصر خاصة في الصعيد لكانت نتائجها مختلفة كليا وجزئيا عما جاءت عليه في القاهرة ، لاختلاف المدن والمناطق المصرية المختلفة في كثير من مظاهر حياتها وفي كثير من عاداتها وتقاليدها ولانعكاس هذا كله على ميول واهتمامات واتجاهات الشباب المصري في تلك المدن والمناطق .

والذي نريد ان نخلص اليه من كل هذا هو : ان ميول القراءة لدى الشباب تتأثر بكل تأكيد بعامل الزمان والمكان . فقراءة ابناء المدن تختلف عن قراءة ابناء الريف ، وما يميل الى قراءته ابناء ذوي المهن الرفيعة يختلف بالضرورة عما يميل الى قراءته ابناء العمال وما يميل الى قراءته الطالب في المدرسة الثانوية يختلف عما يميل الى قراءته العامل المراهق وهكذا .

وقد اكد هذه الحقيقة نتائج كثير من الدراسات العلمية التي اجريت لقياس تأثير المحيط على ميول الشباب واتجاهاتهم ومن هذه الدراسات : الدراسة التي قام بها « جوردان »

والدراسة التي قام بها « تيرمان » و «ليما » وفي نظرة مقارنة الى نتائج هاتين الدراستين الغربيتين يلاحظ الشخص انه في حين تدل نتائج دراسة « جوردان » على ان ٢٥٪ من البنات اللواتي تتراوح اعمارهن بين « ١٤ ـ ١٦ » سنة يملن الى قراءة قصص المغامرات ، فان دراسة « تيرمان » و « ليما » تدل على ان بنات الرابع عشرة لا يقرأن قصص المغامرات الا لاما . والسبب في الاختلاف بين النتائج التي حصل عليها الفريقان ، هو انهما اجريا دراستيهما في محيطين مختلفين » (٥)

من نتائج بعض الدراسات الغربية حول ميول القراءة لدى الشباب :

ونظرا لقلة الدراسات العربية التي اجريت حول ميول القراءة لدى الشباب ، فانه لا مناص من الاطلاع على الدراسات الكثيرة التي اجريت في هذا المجال في غير الوطن العربي ، فهي لا تخلو من الفائدة للمخطط العربي في مجالات التربية والتوجيه والاعلام والنشر وتكوين المكتبات على اختلاف انواعها ومستوياتها ، خاصة اذا كان هذا المخطط واعيا بالفروق الثقافية والحضارية بين الشعوب ، ملما بواقع مجتمعه العربي ، وقادرا على التمييز بين ما يتمشى مع وطنه العربي وما لا يتمشى .

ومن هذا المنطلق تكمن الاشارة المحدودة الى نتائج بعض هذه الدراسات فيما يلي : فقد دلت نتائج بعض الدراسات التي اجريت في انجلترا مثلا (على ان المراهقين اميل الى قراءة الجرائد والمجلات المصورة منها الى قراءة المجلات والجرائد الادبية او الجدية ، واثبتت هذه الدراسات ان معظم المراهقين لا يقرأون المقال الافتتاحي او المقالات السياسية او المقالات الهامة ، وانما يقرأون (في حالة الفتيان) : اخبار الحروب والكاريكاتور ، والقصص المصورة ، واخبار الرياضة والسينما والنكات . اما البنات فيقرأن القصص المصورة ، واخبار السينما ، والكاريكاتور والاعلانات واخبار الحروب ورسائل القراء ، كما دلت الدراسات على ان اخبار ... المغامرات والقضايا جذابة بالنسبة للمراهقين من الجنسين) (٦)

وفي امريكا صدر العديد من الدراسات في هذا المجال ، وقد حاول كثير من كتاب الغرب والشرق ان يلخصوا نتائج كثير من هذه الدراسات ومن ابرز هؤلاء الكتاب عالمة المكتبات الامريكية « لوسيل فارجو » في كتابها القيم (المكتبة في المدرسة او المكتبة المدرسية) ومن النتائج والاحكام التي توصلت اليها السيدة (فارجو) بخصوص ميول القراءة لدى المراهقين والشباب استنادا على تلك الدراسات ما عبرت عنه بقولها :

(ويصل الاهتمام بالقراءة في سن الثانية عشرة الى القمة ويتسع مجال القراءة لدى البنين والبنات بمتعة كبيرة ، لان هذه السن هي سن تقديس الابطال ولكن يتحققالميل الكامل الى السير والتراجع فانها يجب ان تكون لاناس عمليين . . .

وقد يتجه الفتى ذو الميل الادبي الى قصص (ديكنز) و (دوماس) و (هيجو) دون التخلي عن الاساطير وقصص البطولة . وتميل الفتيات الى القصص عن الحياة العائلية ... ، وكذلك قصص المهن وقصص الحياة المدرسية ، مع الاحتفاظ بميل واضح نحو قصص المغامرات .... وميل الفتيات الى القصص الدينية اكثر من ميل الفتيان اليها ومن الواجب ان يكون للعلوم والمخترعات جانب شخصي حتى تستطيع السيطرة على اهتمام الفتيات ، بمعنى انها يجب ان ترتبط بالسير الذاتية او بالحياة العائلية . اما البنون فيتدرجون على منحنى القراءة في كل موضوع فيه . اما الخطوة الكبرى بالنسبة للفتاة في هذه السن فانها تتمثل في دخولها في ادب الكبار ، وكلما كان عاطفيا كان أفضل بالنسبة لها . . .

وتتكون في سن الثالثة عشرة اهتمامات قليلة جديدة . وفضلا عن هذا تزداد الاهتمامات القديمة عمقا ويبحث البنون عادة في هذه السن عن كتب تؤكد (اللياقة البدنية والتغلب على العاهات البدنية واكتساب المهارات العنيفة) .. كما انهم يجدون متعة في العلوم الاكثر تعقيدا وفي هوايات الركوب ، ولذلك يتذوقون متعة الاختراع ـ فعلا وتخيلا ـ من خلال مخترعات العلماء ، في حين ان الفتيات يواصلن اكتشافهن لعالم الكبار الخاص بالعاطفة والانفعال ، أما كون هذا الاستكشاف مفيدا او ضارا فان ذلك يتوقف اساسا على التوجيه الذي تتلقاه الفتاة وقد تستحوذ على اهتمام فتاة في هذه السن روائع الادب العالمي ، وكذلك الشعر والدراما وفي سن الرابعة عشرة تبلغ المراهقة اوسع مداها ، وتصبح الميول اكثر تخصصا ، وتجلب الروايات متعة غير متوقعة ويتميز اهتمام الفتى بالميكانيكا ، بالنزعة العلمية والتجريب متضمنا استخدام المراجع المعينة كما يستغرق بتلقائية في قراءة الكتب غير الخيالية ، وبخاصة العلوم والسير الذاتية والتاريخ والرحلات ، يأخذ دوره ايضا في الاستغراق في الروايات . . .

بعد سن السادسة عشر تصبح اهتمامات القراءة اكثر تميزا وتخصصا ، ولذلك لا تعود الاحكام العامة تنطبق ، شأنهم في ذلك شأن الكبار ويتفق هذا ـ في صلبه ـ معرأي امناء المكتباتالمتمرسين .)(٧)

ولهذا النضج النسبي الذي حققه طلبة وطالبات المرحلة الثانوية الذي تكاد تنعدم بمقتضاه الفروق بين قراءاتهم وقراءات الكبار ، فانه من واجب المكتبات العامة والمكتبات التجارية ، ودور النشر التي تغذيها ان تنوع ما تقدم من كتب ومطبوعات الى الشباب في هذه المرحلة .

« ومن انواع الكتب التي يجب ان يفسح لها مكان في هـذه المرحلة : سير العظماء » تاريخ حياة المصلحين الاجتماعيين والفنانين ورجال الدولة والدعاة الدينيين والاخلاقيين » لان هؤلاء الناشئين لن يلبثوا ان يخرجوا بدورهم الى الحياة العملية في خدمة الدولة والفن والانسانية فمثلا الكتب التي تعالج مثل هذه الموضوعات « كيف تكسب صداقة الناس وكيف تصلح شخصيتك » لها مكانها البارز هنا وكذلك كتب علم النفس ذات الصلة المباشرة بالحياة اليومية وكتب التوجيه المهني والمؤلفات التي تصدر عن دعوة اخلاقية او دينية ، وكذلك الشعر والادب المسرحي وكتب علم الحياة وعلم الوراثة .

اما في محيط الفتيات فنظرا لاتجاه ميولهن اتجاها منزليا فانهن يقرأن فنون الزخرفة والتأثيث وكتب النقد الادبي والمقالات عن الصداقة . اما الكتب عن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية فيقرأها الجنسان اذا كان تناولها لموضوعاتها تناولا عمليا غير ممل .

وبالاختصار قل ان يوجد موضوع يقبل عليه الناضجون من الناس بصفة عامة ولا يقبل عليه الطلبة الكبار في المدارس الثانوية ، الا اذا كانت كتبا تتعمق في تخصصها الى حد تستعصي فيه على القاريء غير المتخصص او اذا كانت كتب بحث فلسفي بحيث تخرج عن نطاق واقعية الغالبية العظمى من الشباب .)

واذا كان المقام لا يتسع للاستمرار في عرض الدراسات والكتابات التي حاولت ان تحدد لنا الميادين والموضوعات الفكرية التي تتركز حولها اهتمامات وميول القراءة لدى المراهقين والشباب واذا كان كثير من الدراسات التي اشرنا اليها والتي لم نشر قد اجريت خارج الوطن العربي وان اجراءها قد تم منذ مدة طويلة ، فانه لا اقل من ان نستخلص مما اشرنا اليه منها ومما لم نستطع الاشارة اليه ومن نتائج خبراتنا واحتكاكاتنا بالشباب في مجالات التدريس والتوجيه ورعاية الشباب ان شبابنا العربي اذا وجد التوجيه المناسب وتوفرت له الكتب المتنوعة الصالحة فانه يميل الى قراءة الكتب والموضوعات التالية .

١ ـ الكتب الدينية المبسطة والصغيرة في حجمها التي تعالج مباديء العقيدة والقضايا الدينية وتحاول توضيح هذه المباديء والتعاليم والقضايا والبرهنة عليها على اساس من الفهم السليم لروح العقيدة والدين والمنطق السليم ، كذلك الكتب التي ترد على الشبهات التي تثار حول الدين تساعد الشباب على التغلب على ما يختلج في نفسه من شكوك دينية وتأخذ بيده الى شاطيء اليقين .

٢ ـ كتب الرحلات المثيرة ، وكتب التاريخ والسير الذاتية ، والكتب التي تصور حياة وثقافة الشعوب الاخرى .

٣ ـ تراجم الابطال والقادة والدعاة والمصلحين وكبار العلماء والاطباء والمخترعين والفنانين

٤ ـ الروايات التاريخية ، وقصص البطولة والفروسية ، وقصص المغامرات والاكتشافات والاختراعات العلمية والجغرافية .

٥ ـ القصص العاطفية ، والشعر العاطفي المعبر والقصص الطويلة (الروايات) وخاصة ما كان منها مليئا بالحركة والمغامرة والغنية بحوارها وتحليلاتها النفسية العميقة .

٦ ـ الكتب النفسية المبسطة التي تصور نفسية الشاب وما يمر به من تغيرات فسيولوجية وعاطفية والتي تساعده على تفهم ما يمر به من مشكلات شخصية واجتماعية مع نفسه ومع غيره ، وعلى مواجهة هذه المشكلات والتغلب عليها ، والتي تؤكد له ان ما يمر به من تغيرات هو امر عادي يمر به كل مراهق ، والتي تبعث فيه الثقة بنفسه وتأخذ بيده نحو الاستقرار والهدوء النفسيين والتي تشبع فضوله عن مشكلات المراهقة ومشكلات الشخصية ، والتي تفسر له كثيرا من التصرفات الشاذة التي يلاحظها في محيطه وتفسر له انماط السلوك الغريبة في المجتمع الذي يعيش فيه ، والتي تربط له بطريقة مبسطة واضحة حقائق علم النفس بمشكلات ومناشط الحياة اليومية .

٧ ـ الكتب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي تعالج بتبسط وعمق وموضوعية المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي يمر بها مجتمعه وامته والانسانية بصورة عامة والتي تصور الاعمال الاجتماعية والانسانية الخيرة .

٨ ـ الكتب العلمية التي تعالج موضوعات علمية بطريقة مبسطة وتربط العلم بالحياة وتوضح اهمية مختلف فروعه في خدمة المجتمع والانسانية ، وتعرف بما تم من اكتشافات علمية وتوضح قيمتها العلمية والاجتماعية وتطبيقاتها في شئون الحياة .

العامة وكتب علم الحياة وعلم الوراثة وعلوم الطيران والفضاء .

٩ ـ الكتب المتعلقة بالشئون العائلية والتدبير المنزلي والفنون الجميلة والاشغال اليدوية والهوايات المختلفة .

١٠ ـ الكتب التي تتصل بالموضوعات التي يدرسها في مدرسته او جامعته وتدعم الكتب المدرسية والجامعية والرئيسية وتساعده على مايطلب منه من مقالات وابحاث ومشروعات . هذه في نظرنا اهم الموضوعات والكتب التي يميل اليها شبابنا العربي بصورة عامة اذا ما توفرت لهم وتيسر لهم أمر الحصول والاطلاع عليها واذا ما وجدوا من يوجههم اليها ويعرفهم بها ، مع التسليم بان هناك فروقا فردية واسعة بين المراهقين والشباب العرب في اهتماماتهم وميولهم القرائية وذلك بحكم اختلاف جنسهم ، واختلاف اعمارهم واختلاف مستويات تعليمهم وتحصيلهم المعرفي وثقافتهم العامة ، واختلاف مستوى اسرهم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي واختلاف البيئات التي تربوا فيها والمجتمعات التي نشأوا فيها من حيث مستواها الاقتصادي والثقافي وقيمها وتوقعاتها من افرادها ودرجة رقابتها عليهم .

وكان من الممكن ان يكون لما ذكرناه واستخلصناه من نتائج قيمة اكبر في توجيه القائمين على انشاء المكتبات المدرسية والمكتبات العامة والمكتبات التجارية والقائمين على تنمية وتدعيم هذه المكتبات جميعا باستمرار وفي توجيه دور النشر في الوطن العربي ، لو ان ما ذكرناه واستخلصناه قد تم التوصل اليه عن طريق دراسة أو دراسات علمية حديثة وواسعة وشاملة في وطننا العربي لعدم توفر مثل هذه الدراسات في الوطن العربي ، فيما نعلم ، فانه لا مفر من الاستفادة مما استخلصناه ويستخلصه غيرنا من نتائج وتعميمات بناء على تجارب شخصية ودراسات محدودة داخل وخارج الوطن العربي في التخطيط لمكتباتنا ودور نشرنا العربية وفي توجيه عملها بما يجعلها اكثر تمشيا مع حاجات وميول الشباب .

المباديء التي ينبغي ان تقوم عليها سياسة النشر في وطننا العربي :

ومما اتيحت لنا الاطلاع عليه من دراسات وكتابات تتعلق بنمو المراهقين والشباب وخصائص نموهم وحاجاتهم واتجاهاتهم وميولهم بصورة عامة وبميولهم القرائية بصورة خاصة ، ومن ملاحظاتنا وخبراتنا الشخصية في عملنا مع الشباب ومما سبق لنا ذكره في الفقرات السابقة من هذه الورقة نستطيع ان نستخلص مجموعة من المباديء العامة التي ينبغي ـ في نظرنا على الاقل ـ ان تكون من المرتكزات الاساسية التي تقوم عليه سياسة النشر في وطننا العربي . وهذه المباديء هي كما يلي :

١ ـ ينبغي التأكيد على ان دور النشر ، حتى الاهلي منها والذي يخضع منها للقطاع الخاص هي مؤسسات تربوية وثقافية واعلامية في المقام الاول ، وان رسالتها الاولى هي مد الجماهير بالغذاء الفكري والروحي الذي لا يقل في قيمته عن الغذاء الجسمي ونشر الوية المعرفة النافعة والفكر الصحيح والذوق السليم والادب الملتزم والثقافة العربية والاسلامية الاصيلة والفكر الانساني العالمي النزيه الذي لا يهدم عقيدة صحيحة ولا قيمة اصيلة من قيمنا ، اما هدف الكسب المالي فانه ينبغي ان يكون هدفا ثانويا غير مقصود في المقام الاول بحيث لا يضحي في سبيله بالغايات التربوية والتثقيفية ولا بالقيم الروحية.

٢ ـ تنبغي النظرة ايضا الى العمل الذي تقوم به دور نشرنا العربية على انه عمل هادف يحتاج الى التخطيط السليم والتقويم المستمر في ضوء الاهداف المرسومة له .

٣ ـ ان مواد وموضوعات القراءة ينبغي ان تكون مساعدة للشباب على اشباع حاجاتهم النفسية ليزيد اقبالهم عليها وعلى ارضاء ميولهم واهتماماتهم الثقافية ، وعلى ملء الفراغ النفسي الذي يحس به بعضهم ، وعلى توسيع معارفهم وثقافتهم ومداركهم وخيالهم باستمرار ، وعلى فهم المشكلات التي يحسون بها وعلى مواجهة هذه المشكلات وعلى حلها ان امكن .

فالشباب يقرأون عادة ليشبعوا حاجاتهم المختلفة وليرضوا ميولهم واهتماماتهم القرائية وليوسعوا ثقافتهم ومداركهم وليشغلوا اوقات فراغهم بأمور نافعة وليفهموا جذور المشكلات التي يحسون بها ويصلوا الى الحل المقبول لها .

٤ ـ نظرا لان الشباب يعشق الحرية ويحس بعمق بحاجته اليها ويميل الى كل ما يساعده على الفهم الصحيح للحرية والى ما يحقق له حريته ونظرا لان اقبال الشباب لن يكون تاما على الكتب والمواد المطبوعة الاخرى الا اذا تم اختيارها بحرية وتمت كتابتها في جو من الحرية وبواسطة اشخاص يتمتعون بكامل حريتهم الشخصية والعلمية ، ونظرا لان الحرية هي الدافعة والمسيرة للحقيقة والمساعدة على ابرازه اوعلى الخلق والابداع ، فانه لا غنى عن توفير الحرية العلمية المسئولة للكتاب والقاريء على السواء .

٥ ـ نظرا لان الشباب يختلفون في انماط شخصياتهم وامزجتهم وفي درجات ذكائهم ودرجات نضجهم العقلي والانفعالي والاجتماعي وفي حاجاتهم وميولهم واهتماماتهم وهواياتهم فانه من واجب دور النشر والمكتبات المدرسية والمكتبات العامة ان تقدم الى هؤلاء الشباب ما يتمشى مع فروقهم الفردية وما يناسب ميولهم المختلفة ، فتقدم الى اصحاب الميول الخلوية الكتب والقصص المتصلة بعمل الرحلات وتنظيم المعسكرات ودراسة الغابات ، وتقدم الى اصحاب الميول الادبية الكتب والقصص الادبية ودواوين الشعر الجيد ، وتقدم الى أصحاب الميول الفنية الكتب الفنية ، وتقدم الى اصحاب الميول الميكانيكية الكتب المتصلة بالادوات كاصلاح السيارات وهكذا .

٦ ـ نظرا لان عادة القراءة والميول القرائية ليست أمرا فطريا يرثه الانسان بيولوجيا وانما هي أمر مكتسب يكسبه الانسان عن طريق التربية والخبرة والممارسة العملية المستمرة للقراءة فيالاوساط المختلفة التي يتفاعل معه افي مختلف اطوار حياته من بيت ومدرسة ومكتبة عامة وعن طريق التوجيه التربوي السليم الذي يقدم له في مختلف الاوساط التربوية وعن طريق اساليب التدريس ونظم الامتحانات التي تتبع معه اثناء فترة دراسته ، فانه من الضروري ان يتوفر للطفل والشاب كل الفرص الممكنة للخبرة القرائية المناسبة وان يتوفر لهما الكتاب الجيد والموضوعات الصالحة للقراءة وانيتوفر لهما التوجيه الصالح الفعال من القائمين على تربيتهم منآباء ومدرسين وموجهين وأمناء مكتبات وغيرهم لقراءة الاعمال الادبية والفكرية النافعة ولمتابعة الاخبار المفيدة ولاشباع فضولهم من المشكلات الشخصية والاجتماعية والانسانية التي تهمهم ، اذ بدون هذا التوجيه فان المراهق مثلا يقرأ اكثر ما يقرأ للحصول على الاثارة .

٧ ـ ان بناء الاتجاه الايجابي نحو القراءة وبناء عادة القراءة والمهارات الضرورية لها امران لا يمكن ان يتحمل مسئولية بنائهما الاشارة اليهم في المبدأ السابق وجميع مؤسسات واجهزة التربية وتمارس التأثير عليه ، بل يجب ان يساهم في تحمل هذه المسئولية كل من له صلة بتربية وتعليم وتوجيه الشباب من الذين سبقت الاشارة اليهم في المبدأ السابق وجميع مؤسسات واجهزة التربية والتعليم والاعلام والنشر . فبناء ذلك الاتجاه وهذه العادة والمهارات يجب ان تكون هدفا اساسيا من اهداف التربية المنزلية والتربية المدرسية والحركة المكتبية وحركة الطباعة والنشر واجهزة الصحافة والاذاعة بنوعيها ، اذ بدون مساهمة وتعاون هذه الجهات جميعا لن يتحقق الهدف المذكور بالصورة المرغوبة .

٨ ـ ان مهمة المؤسسات التربوبة والثقافية والاعلامية لا تقف عند حد اكتشاف وتنمية ميول واهتمامات القراءة لدى الشباب ، بل ان عملها يستمر حتى بعد ذلك لتغذية هذه الميول والاهتمامات وتعهدها بالرعاية والتوجيه المستمرين وحمايتها من الانحراف نحو القصص الخيالية والعاطفية المنحرفة ، ولاثارة ميول واهتمامات جديدة وجعلها في حركة مستمرة ، وذلك عن طريق التعليم والتدريب والتوجيه والتشجيع على القراءة والتحميس لاهتماماتها وتوفير الحوافز التي تدفع الى القراءة ، وعن طريق تنظيم المسابقات الثقافية التي تدفع الى الاطلاع وعقد الندوات والمناقشات الهادفة الى التعريف بما يصدر من كتب جديدة ، وعن طريق نشر المراجعات لما يصدر من كتب جيدة ونشر الاعلانات ومقالات النقد الموضوعي عنها الى غير ذلك. من وسائل تنمية وتوجيه وتجديد ميول القراءة ووسائل التشجيع على القراءة والتعريف بما يصدر من كتب جديدة جيدة .

٩ ـ ان الكتاب لينال قبول الشاب ورضاه واقباله عليه وليستطيع منافسة ومزاحمة الوسائل التعليمية والتثقيفية والاعلامية الاخرى كالاذاعة المسموعة والاذاعة المرئية واشرطة الخيالة وغيرها فانه ينبغي ان يكون جيدا في موضوعه وشكله ينبغي ان يكون جيدا في محتواه وفي عرض وتنظيم وتحليل افكاره وفي لغته واسلوبه وشكله الخارجي وفي نوعية ورقه كما ينبغي ان يكون مناسبا في حجمه ، حيث ان حجم الكتاب من الامور التي ينبغي ان تنال العناية ، وخاصة بالنسبة للقاريء غير المتجاوب او عديم الخبرة ـ فالكتاب الصغير الحجم عاد ةيلقي اقبالا اكبر مما يلقاه المجلد الضخم الثقيل .

طرابلس ـ ج٠ع٠ل **عمر التومي الشيباني**

المراجع العربية للمقال

(١ـ٢) مدحت كاظم ، المكتبة المدرسية ص ٤٦ـ٤٧ و ٦٢ـ٦٩ .

(٣) محمد حامد الافندي ، موضوعات القراءة التي يميل اليها الطلاب في المرحلة الثانوية بحث اجرى على عينة من طلبة وطالبات المدارس الثانوية بمدينة القاهرة بمصر لنيل شهادة الماجستير في التربية في يونيو ١٩٥٥م .

(٤) كما لخصها د. مصطفى فهمي ، سيكولوجية الطفولة والمراهقة ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة : مكتبة مصر : ١٩٦٦ ص ٢٣٤ـ٢٣٦ .

(٥ـ٦) كما لخصها د. فاخر عاقل ، اعرف نفسك ـ الطبعة الثانية ـ ، بيروت دار العلم للملايين ، ص ٢٩١ـ٢٩٢ . سنة ١٩٦٨م.

(٧) لوسيل ف فارجو ، المكتبة المدرسية ، ترجمة : د. السيد محمد العزاوي ، القاهرة : دار المعرفة ص ٧٠ـ٧٣ .

(٨) مدحت كاظم ، المكتبة المدرسية ، ص ٤٢ـ٤٦ .

(٩) مراجع اخرى :

(أ) د. محمود ابراهيم ـ المطالعة وكيف نستفيد منها ـ مجلة رسالة المعلم السنة الثانية عسر العدد الثالث ، يناير وفبراير ١٩٦٩ ، ص ٣٣ـ٣٨ .

(ب) محمود الاخرس ـ الطلاب ومكتباتهم الخاصة ـ مجلة رسالة المعلم ، السنة ١٢ العدد ٤ ، مارس وابريل ١٩٦٩م ص ٣٦٣٣ .